تاريخ الامام الشاطبي وعصره

حميدة بن التركي /جامعة الحاج لخضر /باتنة1

ryhantabwy@gmail.com

ملخص:

عرف الإمام الشاطبي –رحمه الله–بنبوغه وتصنيفه لمؤلفات في أكثر من علم، في هذه الورقة سنتناول بنوع من التفصيل؛ تاريخ الإمام الشاطبي وعصره وذلك من خلال؛ ترجمة للإمام ثم التفصيل في مكانته العلمية وثناء العلماء عليه، بعدها التفصيل في جوانب ثلاث أساسية في عصره متمثلة في: الجانب الاجتماعي، الجانب الثقافي، والجانب السياسي.

Abstract :

In the current paper, the resarcher is going to take in details the history and the glory of Imam Al-shateby – my Allah take mercy on him- who is known for his intellegence as well as the diversity in his writings through identifiying him, then discussing his scientific reputation minutely and the scientific reputation minutely and the scientists' praises to him.

After that, the reearcher is going to focus on three fundamental aspects which are social, cultural and the political one.

ترجمة الامام الشاطبي

1.1. مولده ونسبته

لم نجد في تراجمه –رحمه الله–من عيّن تاريخ مولده؛ إلا ما قدره أبو الأجفان في ترجمته له فقال: "ويمكننا أن نقدر الفترة التي ولد فيها، استنتاجا من تاريخ وفاة شيخه أبي جعفر أحمد بن الزيات الذي كان اسبق شيوخه وفاة، فقد كانت سنة وفاته 720، وهي السنة التي يكون فيها مترجمنا يافعا، وذلك ما يجعلنا نرجح أن ولادته كانت قبيل سنة 720"[1].

اتفق كل من ترجم له أن اسمه إبراهيم[2]، كما اتفقوا أيضا على نسبه وكنيته؛ أما نسبه فهو ابن موسى بن محمد بن موسى بن أحمد بن علي اللخميُّ[3]، واللخمي نسبة إلى لخم بن عدي؛ قال السمعاني:" اللَّخمي بفتح اللام المشددة، وسكون الخاء المعجمة، هذه النسبة إلى لخم، ولخم وجذام قبيلتان من اليمن"[4]، وقال صاحب الصحاح: " لَخْمٌ: حي من اليمن، ومنهم كانت ملوك العرب في الجاهلية، وهم آل عمرو بن عدي بن نصر اللخمي"[5]

ويكنى –رحمه الله– بـ "أبي إسحاق"، ولم يختلف اثنان ممن ترجم له على ذلك، ولم أجد ذِكرا لأسماء أبنائه ولا عددهم.

أما نسبته: الشاطبي، والغرناطي.

فالشاطبي –وبه اشتهر–: فنسبة إلى شاطبة إحدى مدن الأندلس؛ قال الحموي: " شاطبة: بالطاء المهملة، والباء الموحدة: مدينة في شرقي الأندلس، وشرقي قرطبة، وهي مدينة كبيرة قديمة"[6]

وأما الغرناطي؛ فنسبة إلى مكان نشأته، واقامته –رحمه الله– في مملكة غرناطة.

2.1. حياته العلمية:

في مستهل حديثنا عن الحياة العلمية للإمام الشاطبي نبتدئ من طلبه للعلم؛ حيث كان الامام الشاطبي –رحمه الله– شغوفا بطلب العلم؛ إذ ولج بابه منذ كان صغيرا، ولم يقتصر –رحمه الله– على علم دون علم؛ بل خاض في لججه خوض المحسن للسباحة؛ كما يحدث بذلك عن نفسه، حامدا لربه؛ فيقول: " وذلك أني –ولله الحمد– لم أزل منذ فتق للفهم عقلي، ووجه شطر العلمي طلبي، أنظر في عقلياته، وشرعياته، وأصوله، وفروعه لم أقتصر على علم دون علم؛ ولا أفردت عن أنواعه نوعا دون آخر، حسبما اقتضاه الزمان، والإمكان، وأعطته المنة المخلوقة في أصل فطرتي، بل خضت في لججه خوض المحسن للسباحة[7]".

قد بذل الإمام الشاطبي –رحمه الله– كل جهده في طلب العلم، حتى كاد يهلك فيه، أو يعتزل الناس لانشغاله عنهم بالدراسة والتعمق في العلوم، إلى أن فتح الله عليه؛ وبذلك يحدث عن نفسه قائلا: " وأقدمت في ميادينه إقدام الجريء، حتى كدت أتلف في بعض أعماقه، أو أنقطع في رفقتي، التي بالأنس بها تجاسرت على ما قدر لي، غائبا عن مقال القائل، وعذل العاذل، ومعرضا عن صد الصاد، ولوم اللائم، إلى أن منَّ عليّ الرب

الكريم، الرؤوف الرحيم، فشرح لي من معاني الشريعة ما لم يكن في حسابي..."[8]، وقال –رحمه الله–: " ... حالفت عناء الليالي والأيام، واستبدلت التعب بالراحة، والسهر بالمنام"[9]

ولم يذكر أحد ممن ترجم للإمام الشاطبي –رحمه الله– أنه خرج من غرناطة طالبا للعلم، بل تتلمذ على يد علمائها، ومن هاجر إليها من أهل العلم؛ حيث كانت غرناطة في ذلك الوقت مقصدا للناس عامة فرارا من بطش النصارى، كما كانت مقصدا لطلاب العلم، والعلماء.

كما كان رحمه الله يراسل بعض أهل العلم لتدارس بعض المسائل ومن أمثلة ذلك قوله –رحمه الله–: " وسأمثل لك من ذلك بمسألتين وقعت المذاكرة بهما مع بعض شيوخ العصر؛ إحداهما: انه كتب إليَّ بعض شيوخ المغرب، في فصل يتضمّن " ما يجب على طالب الآخرة النظر فيه والشغل به" فقال فيه: "وإذا شغله [10]شاغل عن لحظة في صلاته؛ فرغ سره منه، بالخروج عنه، ولو كان يُساوي خمسين ألفا كما فعله المتقون".

فاستشكلت هذا الكلام، وكتبت إليه بأن قلت له: أما أنه مطلوب بتفريغ السر منه؛ فصحيح، وأما أن تفريغ السر بالخروج عنه واجب؛ فلا أدري ما هذا الوجوب؟ ولو كان واجبا بإطلاق؛ لوجب على جميع الناس الخروج عن ضياعهم، وديارهم، وقُراهم، وأزواجهم، وذرياتهم، وغير ذلك مما يقع لهم به الشغل في الصلاة ... فلما وصل إليه ذلك؛ كتب إليَّ بما يقتضي التسليم فيه، وهو صحيح"[11]، وقال عن مسألة أخرى –رحمه الله–: " وما زلت منذ زمان أستشكله؛ حتى كتبت فيها إلى المغرب، وإلى أفريقية؛ فلم

يأتني جواب بما يشفي الصدر... فأجاب بعضهم بأن المختلف فيه من التشابه ... فكتبت إليه: بأن ما قرَّرتم من الجواب غير بيِّن لأنه إنما يجري في المجتهد وحده..."[12].

3.1. شيوخه وتلاميذه

تتلمذ الإمام الشاطبي –رحمه الله– على يد الكثير من الشيوخ الغرناطيين، أو من غير الغرناطيين، وقد ذكر الامام الشاطبي –رحمه الله– بعضهم في كتابه (الإفادات والإنشادات) نذكر منهم كما جاء في الكتاب:

الشيخ الفقيه القاضي الجليل الشهير الخطير أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر المقري[13] –رحمه الله–.

- الأستاذ الفقيه الجليل الأصولي أبو علي منصور الزواوي[14] –رحمه الله–.
- الشيخ الفقيه الأستاذ النحوي الفاضل أبو عبد الله محمد بن علي البلنسي[15] – رحمه الله.
- الشيخ الأستاذ الكبير الشهير أبو سعيد فرج بن قاسم بن لب التغلبي[16]–رحمه الله–.
- الفقيه الأستاذ الفاضل أبو عبد الله محمد بن البكا[17] –رحمه الله–.
- الفقيه الطبيب أبو عبد الله الشقوري[18] –رحمه الله–.
- الشيخ الأستاذ النحوي اللغوي أبو عبد الله محمد بن محمد بن بيبش العبدري[19] –رحمه الله–.

- الفقيه الكاتب أبو عبد الله بن زمرك[20] –رحمه الله–.
- الشيخ الفقيه الفاضل الموقت أبي الحجاج المكناسي[21] –رحمه الله–.
- الشيخ الفقيه المتفنن أبو الحسن علي الكحيلي[22] –رحمه الله–.
- الفقيه الأستاذ أبو جعفر بن الراوية[23] –رحمه الله–.

بعد عرضنا لبعض شيوخ الامام الشاطبي نذكر البعض من **تلاميذه الذين نالوا شرف الجلوس لحلقات العلم التي أدارها وقدم فيها شرحا وفيرا للكثير من العلوم**؛ إذ تتلمذ على يد الإمام الشاطبي –رحمه الله– الكثير من أهل العلم نذكر منهم:

- أبو عبد الله محمد المجاري الأندلسي[24] –رحمه الله–.
- أبو يحي بن عاصم[25] –رحمه الله–.
- أبو بكر بن عاصم[26] –رحمه الله–.
- أبو عبد الله البياني[27] –رحمه الله–.
- أبو جعفر أحمد القصار الأندلسي الغرناطي[28] –رحمه الله–.
- أبو عبد الله محمد بن علي بن أشرص[29] –رحمه الله–.

4.1. وفاته ومؤلفاته

اتفق كل من ترجم للإمام الشاطبي –رحمه الله– على أنه توفي بغرناطة سنة تسعين وسبعمائة للهجرة، فمنهم من اكتفى بذلك كابن القاضي في درة الحجال: " توفي بغرناطة –أعادها الله للإسلام– سنة 790هـ[30]"، وقال الونشريسي في الوفيات: "وفي سنة تسعين وسبعمائة توفي الإمام أبو إسحاق الشاطبي الغرناطي بغرناطة"[31].

ومنهم من حدد شهر الوفاة كتلميذه عبد الله المجاري قال: "توفي رحمه الله في شعبان عام 790 تسعين وسبعمائة"[32].

ومنهم من حدد التاريخ من شهر شعبان وسمى يوم الوفاة قال في فتح المبين في طبقات الأصوليين: " وتوفي يوم الثلاثاء ثامن شعبان سنة 790هـ"[33].

أما عن مؤلفاته؛ فنبوغ الإمام الشاطبي –رحمه الله–جعله يصنف مؤلفات في أكثر من علم؛ وصفها التنبكتي بأنها " أبحاث شريفة"[34]، وقال: " ألف تآليف نفيسة اشتملت على تحريرات للقواعد، وتحقيقات لمهمات الفوائد"[35]. هذه المصنفات منها من أنعم الله على المسلمين بتحقيقها وطبعها، ومنها ما لم يوفق إلى ذلك؛ وهي كالتالي:

أ– المطبوع:

- **الموافقات:** ويسمى بـ (عنوان التعريف بأسرار التكليف[36]) ويعتبر من أهم المؤلفات في علم المقاصد وأصول الفقه.
- **الإعتصام:** قال عنه الشاطبي –رحمه الله–: "كتاب يشتمل على بيان البدع وأحكامها، وما يتعلق بها من المسائل اصولا، وفروعا وسميته بـ(الاعتصام)"[37].
- **الإفادات والإنشادات:** قال عنه الشاطبي –رحمه الله–: " فإني جمعت لك في هذه الأوراق جملة من الإفادات المشفوعة بالإنشادات، مما تلقيته عن شيوخنا الأعلام، وأصحابي من ذوي النبل والأفهام، قصدت بذلك تشويق المتفنن في المعقول، والمنقول، ومحاضرة المستزيد من نتائج القرائح، والعقول"[38].

- **المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية**: وهو كتاب في النحو شرح فيه الإمام الشاطبي –رحمه الله– نظم "الخلاصة في النحو" لأبي عبد الله محمد جمال الدين بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الأندلسي المشهورة بـ " ألفية ابن مالك "، قال الإمام الشاطبي –رحمه الله–: " ... أقيد على أرجوزة الإمام العلامة أبي عبد الله بن مالك الصغرى وهي المسماة بـ "الخلاصة" شرحا يوضح مشكلها، ويفتح ويرفع على منصّة البيان فوائدها، ويجلو في محك الاختيار فرائدها، ويشرح ما استبهم من مقاصدها، ويقف الناظر فيها على اغراضها من مراصدها، من غير تعرض إلى ما في سوى هذا الغرض..."[39].
- **فتاوى الإمام الشاطبي**: وهذا الكتاب ليس من تأليف الإمام الشاطبي – رحمه الله– بل هو من جمع وتحقيق الدكتور محمد أبو الأجفان الذي قال مبرزا أهمية عمله: " ولئن كانت هذه الفتاوى –كسائر ما صدر عن الفقهاء– تعرّف بالأحكام الشرعية للوقائع الطارئة، فإنها تلقي بعض الأضواء على شخصية صاحبها، وتدل على اتجاهه وموقفه من البدع التي عاصرها، وتشير إلى أوضاع اجتماعية، واقتصادية بالمملكة الغرناطية النصرية في النصف الثاني من القرن الثامن.

وهذا ما حدا بي إلى الإقبال على فتاوى عالم غرناطة ومجددها، جمعا وترتيبا وتحقيقا وتعليقا، لأتحف بها القراء الذين يتطلعون إلى احكام فقهنا الإسلامي"[40].

ب- غير المطبوع:

- **كتاب المجالس**: قال االتنبكتي عنه: " شرح فيه كتاب البيوع من صحيح البخاري؛ فيه من الفوائد والتحقيقات ما لا يعلمه إلا الله"[41].
- **كتاب عنوان الاتفاق في علم الاشتقاق**[42]: ذكر التنبكتي أن الإمام الشاطبي –رحمه الله– أتلفه في حياته[43].
- **كتاب أصول النحو**[44]: وذكر التنبكتي أنه أُتلِف أيضا[45].

وقال التنبكتي في ختام حديثه عن مؤلفات الإمام الشاطبي –رحمه الله–: "وله غيرها، وفتاوى كثيرة"[46]؛ وهذا يوحي بأن للإمام الشاطبي –رحمه الله– مؤلفات أخرى؛ نسأل أن ييسر الوصول إليها وتحقيقها ونشرها.

1. مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

مما يبرز المكانة العالية للإمام الشاطبي –رحمه الله–علمه الغزير المبثوث في كتبه؛ إضافة إلى ثناء العلماء عليه، وسأذكر جملة من كلام بعض المتقدمين والمتأخرين:

- وصفه الإمام التنبكتي بأنه: " الإمام العلامة المحقق القدوة الحافظ الجليل المجتهد"[47]، وعن علمه قال: " كان أصوليا مفسرا فقيها، محدثا لغويا بيانيا نظارا، ثبتا ورعا صالحا زاهدا سنيا، إماما مطلقا، بحاثا مدققا جدليا، بارعا في العلوم، من أفراد العلماء المحققين الأثبات وأكابر الأئمة المتفننين الثقات، له القدم الراسخ والإمامة العظمى في الفنون فقها وأصولا وتفسيرا وحديثا وعربية وغيرها، مع التحري والتحقيق".
- وقال الزركلي: "أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية"[48].

- قال الكتاني: "الإمام المحدث المتبحر المحدث الأصولي النظار الجهبذ"[49].
- وقال تلميذه أبو عبد الله محمد المجاري: "الشيخ الإمام العلامة الشهير نسيج وحده، وفريد عصره"[50].
- نقل التنبكتي عن الإمام الحفيد ابن مرزوق أنه قال في حق الإمام الشاطبي -رحمه الله-:" إنه الشيخ الأستاذ الفقيه المحقق العلامة الصالح أبو إسحاق"[51].
- وقال الشيخ محمد مخلوف: " العلامة المؤلف المحقق النظار أحد الجهابذة الأخيار وكان له القدم الراسخ في سائر الفنون والمعارف أحد العلماء الأثبات وأكابر الأئمة الثقات الفقيه الأصولي المفسر المحدث"[52].
- وقال الشيخ محمد رشيد رضا في تعريفه بكتاب الإعتصام: "وما رأينا أحدا منهم هُدِيَ إلى ما هُدِيَ إليه أبو إسحاق الشاطبي من البحث العلمي الأصولي في هذا الموضوع..."[53]، وقال أيضا: " لولا أن هذا الكتاب أُلِّف في عصر ضعف العلم والدين في المسلمين لكان مبدأ نهضة جديدة لإحياء السنة، وإصلاح شؤون الأخلاق والاجتماع، ولكان المصنف بهذا الكتاب وبصنوه كتاب (الموافقات) -الذي لم يسبق إلى مثله سابق أيضا- من أعظم المجددين في الإسلام، فمثله كمثل الحكيم الاجتماعي عبد الرحمن بن خلدون، كل منهما جاء بما لم يسبق إلى مثله، ولم تنتفع الأمة -كما يجب- بعلمه"[54].

3. الجانب الاجتماعي لعصر الإمام الشاطبي:

يعتبر المجتمع الغرناطي مزيجا من العرب والبربر والمهاجرين، يعيشون بروح أخوية في رخاء وسعة رزق، قال لسان الدين ابن الخطيب: " وأخلاقهم أبيّة[55]"، وقال أيضا: "وأنسابهم عربية، وفيهم البربر والمهاجرة كثير[56]". ورغم ما أشرنا إليه من توتر الأوضاع السياسية والأمنية، إلا أن ذلك لم يؤثر بشكل كبير على مستوى الأعيان والأثرياء فيها، وعلى مظاهر الترف في المأكل، والملبس، والمسكن، ومظاهر الحياة، ويصور لنا وزير الدولة بعض أحوالهم فقال: " ومبانيهم متوسطة وأعيادهم حسنة مائلة إلى الاقتصاد، والغنى بمدينتهم فاش حتى في الدكاكين التي تجمع صنائعها، كثيرا من الأحداث، كالخفّافين ومثلهم[57]" ووصف رجالهم بقوله: " فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة[58] ". وذكر عن نسائهم اتصافهن بنبل الكلام وحسن المحاورة[59]، ولكنهن قد بالغن في التفتن بالزينة حتى إن ابن الخطيب –رحمه الله– خاف أن يكون ذلك فتنة من الله وابتلاء؛ فدعا الله بالستر واللطف، فقال: " وقد بلغن من التفتن في الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات، والتنفيس بالذهبيات والدّيباجيات، والتماجن في أشكال الحلي، إلى غاية نسأل الله أن يغض عنهنّ فيها عين الدهر، ويكفكف الخطب، ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة، وأن يعامل جميع من بها بستره، ولا يسلبهم خفي لطفه، بعزّته وقدرته[60]".

هذا الترف والبذخ الذي عاشته المنطقة في ذلك الوقت لم يكن سلبيا صرفا، بل ترك بعض الآثار الإيجابية، مثل المشاريع العمرانية، والبنائية، التي أعطت طابعا جماليا لا يزال شاهدا على تلك حضارة المسلمين في الأندلس بعد سقوطها.

4. الجانب الثقافي لعصر الامام الشاطبي:

رغم تردي الأوضاع السياسية، والاجتماعية، إلا أن الوضع الثقافي كان مختلفا عن ذلك، فقد ازدهر الإنتاج العلمي في غرناطة إثر هجرة العلماء، والأدباء الفارين إليها من مدن الأندلس الأخرى، كما كان للأمراء دور بارز في النهضة الفكرية، والعلمية، فقد ألف أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل كتابا في الطب سماه "**الوصول لحفظ الصحة في الفصول**"[61]، وقد تأسست في عهده المدرسة اليوسفية[62]، والتي تعرف بالمدرسة العلمية، والمدرسة النصرية، وقد ألحق بها مكتبة خاصة تعاهدها سلاطين غرناطة بالاهتمام وامدادها بالكتب[63].

وباعتبار أن المساجد هي من أهم المراكز الدينية، والثقافية فقد عرفت انتشارا كبيرا في غرناطة، "وكان التعليم الابتدائي في المدن والقرى مؤمنا في مدارس صغيرة إذ يجمع (المؤدب) أولاد الحي، ويُكب على تعليمهم القراءة، والكتابة، والخط، ثم حفظ آي القرآن[64]"

ولم يكن التعليم مقتصرا على علوم الدين والعربية بل تعداه إلى العلوم العلمية كالرياضيات والفلك والطب وغيرها من العلوم النافعة؛ وقد نبغ الكثير من أهلها في شتى المجالات نذكر منهم:

من القراء أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الفرشي (ت: 633هـ)،[65] وأبو عبد الله محمد بن سليمان المعافري، الشاطبي[66](ت672هـ)[67]، ومحمد بن إبراهيم بن وضاح االلخمي (ت587هـ)[68].

ومن النحويين أبو الوليد ابن الجنان محمد بن المشرف بن الكاتب أبي بكر ابن ابي العلاء[69].

ومن الفقهاء العارفين بعلم الحديث ورجاله أبو الوليد وأبو محمد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر[70]، وأبو بكر محمد بن الحسين[71].

ومن العارفين بعلم الحديث أبو عبد الله ويقال أبو سلمة محمد بن علي البياسي الغرناطي[72].

ومن العارفين بالفقه والأدب أبو عبد الله ابن أبي الربيع القيسي الأندلسي الغرناطي[73]، وأبو إسحاق الساحلي (ت: 194هـ)[74]، وكان أبو عبد الله محمد بن علي بن يحي بن علي بن الشامي الأندلسي "متفننا في علوم ما بين فقه وأصول ونحو ولغة وقراءات ونظم ونثر[75]".

ومن الأدباء ضياء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف الخزرجي الساعدي[76]، ومحمد بن إبراهيم بن علي بن باق الأموي[77].

ومن الأطباء أبو عبد الله محمد بن سالم القيسي الغرناطي[78]، وغيرهم الكثير ممن نبغ من أهل غرناطة.

5. الجانب السياسي لعصر الامام الشاطبي:

عاش الإمام الشاطبي –رحمه الله–في القرن الثامن الهجري بغرناطة[79] التي كانت تحت حكم ملوك بني الأحمر (ملوك بني النصر)؛ الذين يعود أصلهم إلى قرطبة وينسبون إلى الصحابي الخزرجي سعد بن عبادة رضي الله عنه[80]، وسموا بـ "بني الأحمر" نسبة إلى ابن الأحمر؛ وهو محمد بن يوسف النصري؛ مؤسس مملكة غرناطة (الدولة النصرية). ويسمون

"بني النصر" نسبة إلى جدهم نصر بن قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري؛ قال لسان الدين بن الخطيب: " فأولهم الغالب بالله أمير المسلمين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري من ولد أمير الأنصار سعد بن عبادة، ملك غرناطة في رمضان من عام خمسة وثلاثين وستمائة إلى أن توفي عام أحد وسبعين وستمائة"[81].

كانت غرناطة في ذلك الوقت تمر بالكثير من الاضطرابات، والصدمات الداخلية، والخارجية على غرار ممالك الأندلس الأخرى، أما الداخلية فتتمثل في التنافس الشديد على الحكم، فإذا تُوفي ملك، أو قُتل، أو خُلِع؛ نشب الصراع بين أبنائه، أو إخوته على الحكم بعده. ومما يدل على اضطراب الوضع وضعف الدولة، وانفلات زمام الحكم من يد رجالها في ذلك الوقت انتشار ظاهرة خلع الملوك، أو قتلهم، وقتل الأمراء؛ ونذكر هنا من سلاطينهم –الذين ملكوا الحكم في مملكة غرناطة الإسلامية–إلى عام وفاة الشاطبي –رحمه الله–بصورة مختصرة مقتصرة على كنيته، واسمه، نسبه، وعام مولده –إن وجد–، ووفاته، ومدة ملكه.

1– أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي[82]، ولد عام أحد وتسعين وخمسمائة (591هـ)[83] ملك غرناطة لمدة ست وثلاثين سنة من عام خمسة وثلاثين وستمائة إلى أن توفي عام أحد وسبعين وستمائة"[84].

2- أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر[85]، ولد عام ثلاثة وثلاثين وستمائة[86] ملك غرناطة لمدة ثلاثين سنة، من عام وفاة والده إلى أن توفي عام أحد وسبعمائة[87].

3- أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر[88]، ولد عام خمسة وخمسين وستمائة[89] ملك غرناطة لمدة سبع سنوات من عام وفاة والده إلى أن خلعه أخوه عام ثمانية وسبعمائة[90]، وتوفي عام احدى عشر وسبعمائة[91].

4- أبو الجيوش نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر[92]، ولد عام ستة وثمانين وستمائة[93]، تولى الحكم بعد خلع أخية عام ثمانية وسبعمائة[94] واستمر ملكه خمس سنوات، وخلع منه في عام ثلاثة عشر وسبعمائة[95]، وتوفي عام اثنين وعشرين وسبعمائة[96].

5- أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الأنصاري الخزرجي[97]، ولد عام سبعة وسبعين وستمائة[98]، وبويع عام ثلاثة عشر وسبعمائة[99]، واستمر ملكه اثني عشرة سنة إلى أن قتل عام خمسة وعشرين وسبعمائة[100].

6- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الأنصاري الخزرجي[101]، ولد خمسة عشر وسبعمائة[102]، واستمر ملكه ثمان سنوات من عام خمسة وعشرين وسبعمائة إلى أن قتل عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة[103].

7- أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي[104]، ولد عام ثمانية عشر وسبعمائة[105]، تولى الملك عام أربعة وثلاثين وسبعمائة[106]، واستمر ملكه احدى وعشرين سنة؛ حيث قتل عام خمسة وخمسين وسبعمائة[107].

8- محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي[108]، ولد عام تسعة وثلاثين وسبعمائة[109]، تولى الملك خمس سنين من عام خمس وخمسين وسبعمائة " وهو يافع قريب العهد بالمراهقة"[110] إلى عام ستين وسبعمائة؛ إذ ثار به أخوه بتدبير ابن عمهما[111].

9- إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي[112]، استمر ملكه سنة واحدة بعد أن ثار على أخيه عام ستين وسبعمائة إلى أن قتله ابن عمه عام أحد وستين وسبعمائة[113].

10- محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر[114]، ولد عام اثنين وثلاثين وسبعمائة[115]، استولى على الملك عام أحد وستين وسبعمائة[116]، واستمر ملكه قرابة ثلاث سنوات إلى أن قتل عام ثلاثة وستين وسبعمائة[117].

11- محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي[118]، تولى الملك للمرة الثانية عام ثلاثة وستين وسبعمائة[119] واستمر ملكه إلى أن توفي عام ثلاث وتسعين وسبعمائة[120].

ومن خلال هذا العرض الموجز لأحوال ملوك بني نصر؛ نجد أنه قد تعاقب على الحكم في عصر الإمام الشاطبي -رحمه الله-ستة ملوك هم:

1- أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الأنصاري الخزرجي (713هـ-725هـ).

2- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الأنصاري الخزرجي (725هـ-733هـ).

3- أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي (734هـ-755هـ).

4- محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي (755هـ-760هـ).

5- إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي(760هـ-761هـ).

6- محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر(761هـ-763هـ).

- محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر الأنصاري الخزرجي، تولى الملك للمرة الثانية (763هـ-793هـ).

أما الصدمات الخارجية فكانت ضد النصارى الذين يحاولون استرجاع كل مدن الأندلس حيث احتلوا الكثير من مدنها، وهاجر الكثير من سكانها إلى غرناطة فرارا من بطش النصارى عليهم، ونجد في بعض الفتاوى للإمام الشاطبي وقد سأله بعض من بقي تحت سلطة النصارى عن جواز البيع لأهل الحرب[121]؛ وذلك لسوء أحوالهم، ومما زاد الطين بلة العجز المادي الذي كان يعاني منه ملوك غرناطة في تلك الفترة؛ مما اضطرهم

إلى طلب المعونة من أغنياء الشعب الغرناطي وأعيانهم الذين كانوا يستفتون الفقهاء في ذلك؛ فيجيزه البعض ويمنعه البعض، وكان الشاطبي –رحمه الله– ممن أفتى بجواز ذلك[122].

كما كان ملوك غرناطة يستعينون ببني مرين ملوك المغرب في التخلص من خطر النصارى[123] وكانت الحرب بينهم سجالا مرة للمسلمين ومرة عليهم.

هوامش:

[1] فتاوى الإمام الشاطبي: ص32.

[2] ترجمته رحمه الله في: محمد المجاري: برنامج المجاري، تحقيق: محمد أبو الأجفان، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1: 1982، ص116–122، أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، اشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، طرابلس: كلية الدعوة الإسلامية: ط1: 1989، ص 48–52، عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، اعتناء: إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2: 1402هـ–1982م، ص191، والأعلام: ج1 ص 75، ومحمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، 1349هـ، ج1 ص 231، و ابن القاضي: درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة: دار التراث ج1 ص182.

[3] أبو إسحاق الشاطبي: المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكة المكرمة: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ط1: 1428هـ–2007م، ج1 ص 1.

[4] السمعاني عبد الكريم بن محمد: الأنساب، اشراف وضبط: رياض مراد ومطيع الحافظ، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط1: 1405هـ–1984م، ج11 ص18.

[5] الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ط2: 1399هـ-1979م، ج5 ص2028.

[6] معجم البلدان: ج3 ص309.

[7] إبراهيم الشاطبي: الإعتصام، اعتنى به وخرج أحاديثه: محمود بن الجميل، الجزائر: دار الإمام مالك، ط1: 1431هـ-2010م، ص 12.

[8] الإعتصام: ص 12-13.

[9] المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية: ج1 ص2.

[11] أبو إسحاق الشاطبي: الموافقات ومعه تعليقات: عبد الله دراز، تحقيق: محمد مرابي، بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1: 1434هـ-2013م، ج1 ص 106-107.

[12] الموافقات: ج1 ص 107-108.

13 أبو إسحاق الشاطبي: الإفادات والإنشادات، تحقيق: محمد أبو الأجفان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1: 1403هـ-1983م، ص 81-82.

14 الإفادات والإنشادات: ص 87.

15 الإفادات والانشادات: ص 94.

16 الإفادات والإنشادات: ص 93.

17 الإفادات والإنشادات: ص 108.

18 الإفادات والإنشادات: ص 114.

19 الإفادات والإنشادات: ص 142.

20 الإفادات والإنشادات: ص 157.

21 الإفادات والإنشادات: ص 159.

22 الإفادات والإنشادات: ص 160.

23 الإفادات والإنشادات: ص 164.

24 برنامج المجاري: ص 116.

25 نيل الابتهاج: ص 50.

26 نيل الابتهاج: ص 50.

27 نيل الابتهاج: ص 50.

28 نيل الابتهاج: ص 113.

29 شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: ج1 ص 307.

[30] درة الحجال في أسماء الرجال: ص 182.

[31] الونشريسي أحمد بن يحيى: وفيات الونشريسي، تحقيق: محمد بن يوسف القاضي، شركة نوابغ الفكر، ص68.

[32] برنامج المجاري: ص122.

[33] عبد الله مصطفى المراغي: الفتح المبين في طبقات الأصوليين، مطبعة أنصار السنة المحمدية، ص205.

[34] نيل الإبتهاج بتطريز الديباج: ص 48.

[35] نيل الإبتهاج بتطريز الديباج: ص 49.

[36] الموافقات: ج1 ص39.

[37] الإعتصام: ص 21.

38 الإفادات والإنشادات: ص 81.

[39] المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية: ج1 ص1-2.

[40] فتاوى الإمام الشاطبي: ص 12.

[41] نيل الإبتهاج بتطريز الديباج: ص 49.

[42] نيل الإبتهاج بتطريز الديباج: ص 49.

[43] نيل الإبتهاج بتطريز الديباج: ص 49.

[44] نيل الإبتهاج بتطريز الديباج: ص 49.

[45] نيل الإبتهاج بتطريز الديباج: ص 49.

[46] نيل الإبتهاج بتطريز الديباج: ص 49.

[47] نيل الإبتهاج بتطريز الديباج: ص 48.
[48] الأعلام: ج1 ص 75.
[49] فهرس الفهارس والأثبات: ص 191.
[50] برنامج المجاري: ص 116.
[51] نيل الإبتهاج بتطريز الديباج: ص 48.
[52] شجرة النور الزكية: ج1 ص 231.
[53] أبو إسحاق الشاطبي: الإعتصام، ضبطه وصححه: أحمد عبد الشافي، دار اشريفة، ص 4.
[54] الإعتصام (طبعة دار ا شريفة): ص 4.
[55] الإحاطة في أخبار غرناطة: ج1 ص 134.
[56] الإحاطة في أخبار غرناطة: ج1 ص 134.
[57] الإحاطة في أخبار غرناطة: ج1 ص 139.
[58] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص27.
[59] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص29.
[60] الإحاطة في أخبار غرناطة: ج1 ص 141.
[61] أحمد بن محمد المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1408هـ-1988م، ج5 ص80.
[62] اللمحة البدرية من الدولة النصرية: ص 96.
[63] يحي محمود ساعاتي: الوقف وبنية المكتبة العربية استبطان للموروث الثقافي، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط2: 1416هـ-1996م، ص 87.
[64] يوسف شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر، بيروت: دار الجيل، ط1: 1413هـ-1993م، ص133-134.
[65] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج2 ص65.
[66] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج2 ص140.
[67] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج2 ص141.

[68] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج2 ص160.

[69] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج2 ص120.

[70] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج2 ص129.

[71] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج2 ص 155.

[72] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج2 ص59.

[73] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج2 ص137-138.

[74] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج2 ص194.

[75] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج2 ص59.

[76] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج2 ص195.

[77] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج6 ص263.

[78] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج4 ص130.

[79] (غَرْنَاطَة): وهي من أقدم مدن الأندلس، ومعنى غرناطة: رمانة بلسان عجم الأندلس؛ وسمي البلد بذلك لحسنه. أنظر ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، بيروت: دار صادر، 1397هـ-1977م، ج4 ص195. وعبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار المعرفة، ط1: 1373 هـ-1954م، ج2 ص990.

[80] عبد الرحمن بن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، بيروت: دار الفكر، 1421هـ-2000م، ج4 ص218

[81] لسان الدين محمد بن الخطيب: اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تصحيح وفهرست: محب الدين الخطيب، القاهرة: المطبعة السلفية ومكتبتها، 1347هـ، ص21-22.

[82] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 30.

[83] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 36.

[84] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 22.

[85] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 22، وص37.
[86] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 45.
[87] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 22.
[88] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 47.
[89] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 55.
[90] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 22.
[91] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 22.
[92] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 57.
[93] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 64.
[94] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 64.
[95] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 22.
[96] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 22.
[97] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 65.
[98] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 75.
[99] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 75.
[100] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 75.
[101] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 77.
[102] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 84.
[103] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 84.
[104] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 89.
[105] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 98.
[106] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 89.
[107] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 22.
[108] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 100.

[109] لسان الدين محمد بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط1: 1395هـ-1975م، ج2 ص91.

[110] الإحاطة في أخبار غرناطة: ج2 ص 14.

[111] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 26.

[112] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 114.

[113] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 23.

[114] الإحاطة في أخبار غرناطة: ج1 ص523.

[115] الإحاطة في أخبار غرناطة: ج1 ص531.

[116] الإحاطة في أخبار غرناطة: ج1 ص525.

[117] الإحاطة في أخبار غرناطة: ج1 ص531.

[118] اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ص 117.

[119] الإحاطة في أخبار غرناطة: ج2 ص 30.

[120] خير الدين الزركلي: الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، ط5: 2002، ج7 ص153-154.

[121] أنظر: أبو إسحاق الشاطبي: فتاوى الامام الشاطبي، تحقيق محمد أبو الأجفان، تونس: مطبعة الكواكب، ط1406:2هـ-1985م، ص 144.

[122] فتاوى الإمام الشاطبي: ص28.

[123] عبد الرحمن علي الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، بيروت: دار القلم، ط2: 1402هـ-1981م، ص520.